الكلمة الافتتاحية للمدير العام أمام المؤتمر الدبلوماسي – النسخة النهائية – كما أُقيت

أصحاب السعادة،

حضرات المندوبين،

الزملاء والأصدقاء الأعزاء،

إنه لشرف عظيم أن أرحب بكم كمستضيف لهذا الحدث التاريخي وأن أفتتح المؤتمر الدبلوماسي لإبرام صك قانوني دولي يتعلق بالملكية الفكرية والموارد الوراثية والمعارف التقليدية المرتبطة بالموارد الوراثية.

***

إنّ هذا اليوم تتويجٌ لرحلة طويلة وشاقّة استغرقت 25 عاماً.

لكن فهم أهمية هذه الرحلة، يستوجب منا نظرة إلى التاريخ، لا لقبل 25 عاما فقط، ولكن إلى 550 عاماً مضت أي إلى عام 1474.

وهو العام الذي أنشأت فيه جمهورية البندقية أول نظام براءات رسمي في العالم، بهدف حماية "الأجهزة الجديدة والمبتكرة".

ورغم أن الابتكار كان دائماً جزءاً من قصة البشرية، إلا أن هذا التطور غيّر ما كان في السابق عملية تعسفية لا يمكن التنبؤ بنتائجها، وأدخل المفاهيم الجديدة مثل شرط الجدّة والحق القانوني الذي تدعمه الدولة، التي لا تزال حجر الأساس في نظام الملكية الفكرية العالمي حتى يومنا هذا.

ولكن الأهم من ذلك هو أن تطوير نظام الملكية الفكرية غيّر بشكل أساسي هوية المخترع أو المبدع. فبفضل هذا النظام، لم يعد مصير الفكرة رهناً بالدعم المتقلّب من اللوردات أو السادات الإقطاعيين فحسب، بل على قوة هذه الفكرة في جذب اهتمام الناس والسوق والمجتمع من خلال الملكية الفكرية. وأصبحت الملكية الفكرية جسراً لربط الفكرة بالعالم.

ومنذ ذلك الحين، تطوّر نظام الملكية الفكرية بشكل متواصل. وما بدأ كقوانين وطنية أصبح نظاماً دولياً بفضل اتفاقيتي باريس وبرن.

وبالنظر إلى ما قبل 550 عاماً، لا إلى 25 عاماً فحسب، نرى أن الملكية الفكرية في تطور دائم، شأنها شأن الابتكار ذاته. وبالتالي، فإن قصتنا، أي قصة الويبو ونظام الملكية الفكرية العالمي، ليست قصة ركود أو التزام صارم بالوضع الراهن، بل قصة تعديل وتغيير وحركيّة، واستجابة وتكيّف مع عالم دائم التغيّر وتلبية للتوقعات المتطوّرة لدولنا الأعضاء وشعوبها.

وقد كان ما ذكرته مدفوعاً، في بعض الأحيان، بالثورات التكنولوجية، ومثال ذلك، اجتماعنا الناجح في أواخر تسعينيات القرن العشرين لمعالجة وصول التقنيات الرقمية من خلال معاهدتي الويبو بشأن الإنترنت.

وفي أوقات أخرى، كان الهدف منه زيادة الشمولية ورعاية مستفيدين محددين، وخير مثال على ذلك، عملنا كيدٍ واحدة عام 2010 لتقديم الرعاية لفناني الأداء والأشخاص معاقي البصر من خلال معاهدتي بيجين ومراكش.

وفي هذين الأسبوعين المقبلين، أمامنا فرصة ثمينة ونادرة لمواصلة هذا التقليد العظيم، وإظهار قدرة نظام الملكية الفكرية العالمي على التطور المدروس والمتوازن. واقتداءً بفعل أسلافنا في الماضي، تتمثل مهمتنافي تحقيق الانسجام واغتنام هذه الفرصة لدفع نظام الملكية الفكرية إلى الأمام، سويةً كعائلة واحدة.

***

والتوصل إلى نتيجة ناجحة سيعود بفوائد على ثلاث جبهات. أولاً، سيبرز على أفضل وجه الدور المحوري الذي تؤديه الموارد الوراثية في الابتكار. فرغم أن البشرية استخدمت منذ القدم، ولا تزال، الموارد الوراثية لأغراض القوت والطب والتقدم التكنولوجي، فقد أصبحت هذه الروابط أعمق وأكثر أهمية، مدفوعة بالتطورات الجديدة الجريئة في التقنيات الرقمية وعلوم الحياة.

ولنأخذ بعض أكثر التحديات التي نواجهها إلحاحاً: تساعد الموارد الوراثية على تعزيز الإمدادات الغذائية العالمية، وزيادة غلّة المحاصيل، وتحصين الزراعة ضد الضغوط والإجهاد الناجمين عن ارتفاع درجة حرارة الكوكب. وترتبط الموارد الوراثية ارتباطاً لا ينفصم بالتنمية الاقتصادية، فهي مصدر حيوي للوظائف والدخل والفرص، ولا سيما للمجتمعات النائية في البلدان النامية والبلدان الأقل نمواً. وتدعم الموارد الوراثية عالماً أكثر صحّة، وتساعد في ابتكار الأدوية والعلاجات.

وبناء عليه، فإن زيادة تعزيز فعالية نظام البراءات وشفافيته وجودته تصب في مصلحتنا المشتركة، وهي مسألة حان زمن حسمها.

ثانياً، ستساعد النتيجة الإيجابية على تمتين الاتفاق العالمي مع أعضائنا بأن الملكية الفكرية موجودة في سبيل الخير لنا جميعا.

ويوماً بيوم، لا تكتفي الويبو بدعم الأعضاء في وضع الأطر القانونية والتنظيمية للملكية الفكرية فحسب، بل تساعدهم أيضاً على استخدام الملكية الفكرية كمحفّز قوي للنمو والتنمية. إذ تمكّن أنظمة الملكية الفكرية القوّية والمتينة مبتكرينا ومبدعينا من الازدهار. ونجاحهم يفيض بالفائدة علينا جميعاً.

لكن هناك الكثيرين ممن لا ترى أفكارهم العظيمة النور أبداً، أو الذين لا تخدمهم الملكية الفكرية على نحو كافٍ. وقبل ما يربو على ثلاث سنوات، تعهدت ببناء نظام ملكية فكرية ديناميكي وشامل وتطلّعي - نظام يعمل لصالح الجميع في كل مكان. ومنذ ذلك الحين، عمل زملائي معي بلا كلل لجعل ذلك التعهد حقيقة ملموسة – عبر تعزيز أطر الملكية الفكرية العالمية، وإزالة الغموض عن الملكية الفكرية، وإظهار كيفية إيصالها للمبتكرين والمبدعين في جميع أنحاء العالم.

وفي هذا المؤتمر الدبلوماسي، يمكننا أن نبيّن أن وجود نظام ملكية فكرية متين ويمكن التنبؤ به – أي نظام يحفز الابتكار ويجذب الاستثمارات ويدفع الأبحاث التي تغير قواعد اللعبة – لا يتناقض مع نظام يستجيب لاحتياجات جميع البلدان ومجتمعاتها في كل مكان، بما فيها تلك المتأتية من مجتمعات الشعوب الأصلية ومن الجماعات المحلية. لإن نظام ملكية فكرية أكثر شمولية وتنوعاً لا يعني مجرد نظام ملكية فكرية أكثر ديناميكية، بل يعني نظام ملكية فكرية أقوى.

وتماشياً مع ذلك، نحن عازمون كل العزم على ضمان أن تتسم عملية التفاوض ذاتها بالشمولية والشفافية. ويسرّنا أن ينضم إلينا أعضاء الشعوب الأصلية والجماعات المحلية من مختلف أصقاع العالم، ونعرب عن شديد الامتنان لأستراليا وألمانيا والمكسيك وإسبانيا على مساهماتها الأخيرة في صندوق الويبو للتبرعات لدعم مشاركتهم. وأودّ أن أرحب أحر الترحيب بجميع المنظمات غير الحكومية وممثلي الصناعة وغيرهم من المراقبين الحاضرين. إن مشاركتكم أمر بالغ الأهمية لعملنا، وعملنا أقوى بحضوركم.

ثالثاً، إن تحقيق نتيجة إيجابية سيقدّم للتعددية دعماً قوياً. وعلى مدار الأسبوعين المقبلين، لن نكون إذاً مسؤولين أمام الويبو ومجتمع الملكية الفكرية فقط، بل أيضا أمام عالمٍ يوجّه أنظاره إلينا.

اسمحوا لي أن أصارحكم – المفاوضات لن تكون سهلة. إذ نادراً ما تكون المفاوضات بشأن مواضيع هامة ومهمة سهلة. ولكنني أدعوكم جميعاً إلى مزج العاطفة مع البراغماتية، والتحلي بروح المرونة والتكيّف وتوافق الآراء التي أوصلتنا الآن إلى أعتاب اتفاق تاريخي بحقّ.

وللمساعدة في بلوغ هذا الهدف، تتعهد الأمانة بتزويدكم بأفضل بيئة ممكنة، كي تتمكنوا من التوصل إلى أفضل النتائج الممكنة. وأتوجه بجزيل الشكر لجميع الوفود على العمل الشاق الذي أنجزته في الفترة التي سبقت هذا المؤتمر، وأذكر خاصةً أوروغواي وإندونيسيا والجزائر وبولندا والصين وناميبيا على استضافتها ومشاركتها في تنظيم سلسلة من الاجتماعات الإقليمية والأقاليمية. ولا شك أن هذه الجهود ستسهم في تهيئة المناخ البنّاء اللازم لازدهار التعددية وجني ثمارها.

***

أصدقائي وزملائي الأعزاء،

أذكّر بأننا حققنا قبل عامين إنجازاً مذهلاً، بني على التفاهم والثقة والمرونة المتبادلة، مع الرغبة في التوصل إلى توافق للآراء. وإننا نحتاج، خلال الأسبوعين المقبلين، إلى استدعاء روح مماثلة كي نعبر خط النهاية معاً.

لنصنع التاريخ مرّة أخرى كأسرة ويبو واحدة، من أجل خير العالم.

شكراً.